نبأ ابني آدم

فضيلة الشيخ

د/أحمد فريد

بطاقة الفهرسة
الفهرسة أثناء النشر
إعداد
الهيئة المصرية العامة لدار الكتب
والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية
أحمد فريد
نبأ ابنى آدم
المنصورة
مكتبة فياض ٢٠٠٦
٤٤ صفحة - ٢٠ سم
١ - القصص الدينية
أ - العنوان
رقم الإيداع ٩٠٥٨ / ٢٠٠٦
٨١٣/٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

نبأ ابني آدم

قوله عز وجل : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

[المائدة:٢٧-٣٢]

هذه الآيات الكريمات في سورة المائدة تحكي لنا كيف بدأت الجريمة على الأرض؟

وكيف حدثت أول جريمة قتل على الأرض ؟

ومناسبة هذه الآيات الكريمات لما قبلها من نفس السورة ، إن اليهود حسدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النبوة والرسالة ، فكأن الله عز وجل يقول له : فقل لهم : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومناسبة هذه الآيات لما بعدها أن الله عز وجل قبل أن يشرع لنا القصاص وأن يبين لنا أحكام القصاص ، بين لنا كيف بدأت الجريمة ؟ وكيف كانت أول جريمة قتل على الأرض ؟ كذلك في هذه الآيات الكريمات عباد الله يظهر فيها كيف يدعو الحسد أهله ؟ وكيف أن أحد ابني آدم حسد أخاه ؛ لأنه تقبل منه قربانه ولم يُتقبل منه ، فقتله من أجل ذلك ، وقد قال النبي ـ صلى الله عليه

وآله وسلم :

« دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد ، والبغضاء ، ألا إنها هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين » .

والحسد عباد الله هو الذي دعا إبليس ألا يسجد لآدم .

وقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾

[الأعراف: ١٢]

وأبي أن يسجد لآدم تكريمًا وتنفيذًا لأمر الله عز وجل له بالسجود ، في هذه الآيات الكريمات كذلك عباد الله يظهر فيها نوعان من البشر :

النوع الخير الذي لا يستطيع أن يعمل إلا الخير ، الذي يتقي الله عز وجل ، ويتقبل الله عز وجل

منه ، والـذي يخـاف الله عـز وجـل في كـل قـول وعمل ، إني أخاف الله رب العـالمين ، والـذي لا تطاوعه نفسه على الشـر ، وعلـى الإقـدام علـى كبائر الذنوب .

والنوع الثاني : عباد الله هو الذي لا يُرْزق التوبة، ولا يخاف الله عز وجل ، والذي يتجرأ على معصـية الله عز وجل ، وعلـى الكبـائر ، وعلـى الإفسـاد في الأرض دون وازع ودون رادع .

كـذلك في القصـة عبـاد الله ، كيـف يسـول الشيطان للعبد بالمعصية ، كيف يخفي عنه عواقب المعصية ، وكيف يزين لـه الشـهوات ويـدعوه إلى الإعراض عن طاعـة رب الأرض والسـماوات ، حتـى إذا وقـع في معصـية الله عـز وجـل يكـون الخسران ، ويكون الندم ، ويكون الصغار ويكون

الذلـة ، ويكـون العـذاب في الـدنيا والآخـرة ، ويقول عز وجل :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

اختلف العلمـاء فقـال الجمهـور : بـأن هـذان الرجلان من صلب آدم .

وقال الحسن البصري والضحاك : إنهمـا كانـا من بني إسرائيل ، واستدلوا على ذلك بأن الله عز وجل قال تعقيبًا على القصة :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة:٣٢]

ورد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري هذا القول بثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن كل لفظة في القرآن لابد أن يكون لها فائدة ، فلو كانا من بني إسرائيل ما كان لقول الله عز وجل :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

فنسبهم الله عز وجل لآدم ، فهذا يدل على أنهما كانا ابني آدم من صلبه ، ولم يكونا من بني إسرائيل .

الأمر الثاني عباد الله : إن هذه أول جريمة وقعت

على الأرض ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا تُقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها » .

أي نصيب من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل ، ويستحيل ألا يكون في البشرية قتل حتى بني إسرائيل ، فلابد أنها وقعت هذه الجريمة قبل بني إسرائيل ، وتكررت في البشرية ، وهذا معلوم .

الأمر الثالث : يبعد أن يجهل من هو بني إسرائيل سنة الدفن ، وهذا الذي قتل أخاه كان لا يعرف سنة الدفن ؛ لأن هذا كان أول قتيل ، بل قالوا : أول رجل يموت على الأرض مات قبل آدم ، وإنه احتار كيف يواري سوأته ، وكيف

يداري جريمته ، وكيف يستر أخاه ، فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ، أي : ينقب عن شيء ، أو يبحث عن شيء أو يدفن شيئًا كما هو شأن الغراب ، فتنبه ذلك إلى سنة القتل فواري سوأة أخيه . أي : دفن أخاه .

فيستحيل ألا تهتدي البشرية إلى سنة الدفن وأن يجهل الناس سنة الدفن حتى زمن بني إسرائيل .

فهذه أوجه ثلاثة عباد الله قوية في بيان أنهما من صلب آدم .

وقد قال جمهور المفسرين : بأن اسم القاتل: قابيل ، واسم المقتول : هابيل ، والغالب أن ذلك مأخوذ من الإسرائيليات ، كما قال العلامة أحمد شاكر ، ولم يرد ذلك في كتاب الله عز وجل ، ولا

في الصحيح من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن قال الله عز وجل :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾

[المائدة:٢٧]

وهذه التفصيلات عباد الله ليست فيها عبرة وعظة ؛ ولذلك يسكت عنها القرآن ، فليس في تسمية الرجلين عبرة وعظة ، والقصة أن أحد ابنيّ آدم حسد أخاه ؛ لأنهما قربا قربانا إلى الله عز وجل ، وكانت علامة قبول القربان والغنائم التي يغنمها المجاهدون أن يجعلوها في مكان ، فتأتي نارٌ من السماء فتحرقها ، فهذه علامة على قبول القربان ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال : « لأقتلنك » ، وفي الآيات حذف عباد الله واختصار :

وكأنه قال : « سوف أقتلك » .

وقال : « ولماذا تقتلني ؟ » .

قال : « لأن الله عزِ وجل تقبل قربانك ولم يتقبل مني » .

قال : « وما ذنبي » ، فدفعه ذلك إلى أن يهدده بالقتل ، قال : « لأقتلنك » . قال :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وكان هذا الرجل عباد الله يعظ أخاه بكل أساليب الوعظ الصحيحة ، ويدعوه إلى الله عز وجل ، وكأنه يقول له : إنما أتيت من قبل نفسك ، ومن جرأتك على الله عز وجل ، ومن تركك لطاعة الله عز وجل فلو كنت متقياً لتقبل الله عز وجل منك ، وقال بعض السلف : ما أنعاه على

كثير من السلف أعمالهم .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

بكى أحد السلف عند موته فسئل عن سبب بكائه فقال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧]

فكيف بأعمالنا عباد الله ولم نبلغ درجة التقوى ، وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما : « لو أعلم أن الله عز وجل يقبل مني سجدة الليل وسجدة بالنهار لطرت شوقًا إلى الموت » .

إن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

فنصح الرجل أخاه بأنه أوتي من قبل نفسه ، وأنه لو كان يتقي الله عز وجل لتقبل الله عز وجل منه ، ثم قال له :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨] .

يذكره بالخوف من الله عز وجل ، وبأن نفس الشرير لو سولت له أن يقتل أخاه فإن المؤمن المطيع المتقي لا يمكن أن تسمح له نفسه بذلك ، لأن نفسه مطمئنة بطاعة الله عز وجل ، وعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل ، وما قال : لئن بسطت إلى يدل لتقتلني ما بسطت يدي إليك لأقتلك ، بل قال :

﴿ مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾

[المائدة:٢٨]

ليدل هذا على أن هذا من سجيته ، وأنه لا يمكن أن تطاوعه نفسه إلى قتل أخيه بأي حال ، وإن هذا عهده ، فإن قال قائل : لماذا لم يدفع عن نفسه ؟ أجاب العلماء بأجوبة :

الأمر الأول : أنه قال له ذلك أولاً على سبيل التهديد ، قال : « لأقتلنك » أي على سبيل التهديد ، ولم يكن شرع في القتل ، فنصحه أخاه وقال :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى

وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨، ٢٩] .

فكان ذلك على سبيل التهديد ولم يشرع في قتله حتى يدافع عن نفسه .

ويعضض ذلك ما قاله بعض المفسرين بأنه قتله عندما كان نائمًا ، أي لم يستطع أن يدفع عن نفسه فقتله وهو نائم .

الأمر الثاني أنه قال له :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ [المائدة:٢٨] .

وليس معنى ذلك أنه لا يبسط يده دفاعًا عن نفسه . أي أنه قد يبسط يده دفاعًا عن نفسه ،

ولكن لا تطاوعه نفسه لأن يبسط يده ليقتل أخاه ، وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » .

فقالوا : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟

قال : **« إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »** .

أي في نيته لو تمكن منه لقتله ، فقال : ﴿ مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ [المائدة:٢٨] .

ويجوز له أن يبسط يده ليدفع عن نفسه .

الجواب الثالث عباد الله : أنه يجوز للمؤمن إذا قصد للقتل أن يستسلم للقتل ، وألا يدافع عن

نفسه ، كما قال سعد بن أبي وقاص للنبي ـ صلى الله عليه وسلم : « أرأيت إن دخل على بيتي ، وبسط إلى يده ليقتلني » .

قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل» .

وفي رواية : « **كن كخير ابني آدم** » .

أي المقتول ، وليس القاتل ، وكما استسلم عثمان ـ رضي الله عنه ـ لمّا ألبوا عليه ، ولمّا قصده أصحاب الفتنة وأرادوا دمه ، وكان طلحة ابن عبيد الله وعلى بن أبي طالب وجماعات من المؤمنين أرسلوا أولادهم للدفاع عن الخليفة ، فعزم عليهم ألا يدافعوا عنه من أجل أن يحقن دماء المسلمين ، فقتلوه ظلمًا ووقع دمه على

المصحف ، وكان يقرأ في المصحف ، فنـزل على قول الله عز وجل :

﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

[البقرة:١٣٧]

فقالوا : يجوز للعبد إذا قصد بأن يقتل أن يستسلم ، ولا يدافع عن نفسه .

الأمر الرابع عباد الله : أنهم قالوا : لعل هذا كان في شريعتهم ، أنه لا يجوز للرجل أن يدفع عن نفسه إذا قصد بالقتل ، ولكل أمة شرعة ومنهاجًا كما قال الله عز وجل ، فالتوحيد واحد ، ولكن التكاليف الشرعية والعبادات تختلف من أمة إلى أمة .

فهذه أربعة أجوبة عباد الله ، وفي شريعتنا ما يسمى بدفع الصائل ، إذا قصد مسلم بأن يُقتل

أو ينتهك عرضه أو يُسلب مالـه ، فيُشـرع لـه أن يدافع عن نفسه ، ويُشرع له أن يـدفع بـالأخف ، فإن كسر يده فاندفع بذلك لا يجاوز ذلك إلى قتله ، وإن كسـر رجلـه فـإن كـان لا ينـدفع إلا بالقتـل فيجوز له أن يقتله، وهذا ما يسمى بدفع الصائل، والصائل : هو المعتدي ، ولـيس لـه ديـة إذا قتـل هذا الصائل ؛ لأنـه هـو المعتـدي ، وقـال الـنبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« من قتل دون مالـه فهـو شـهيد ، ومـن قتـل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد » .

فهو إذا قتل وهو يدافع عن عرضه أو عن ماله أو عن نفسه فهو شهيد بنص حديث النبي ـ صلى الله عليه وآلـه وسـلم ـ فهـذه أجوبـة لهـذا العبـد المقتول كيف لم يدافع عن نفسه .

فهذا أدب حسن ، والقصص القرآني يقصد به التربية ، ويقصد به الارتفاع بالأحوال الإيمانية في الأمة ، وغرس المعاني الإيمانية الشريفة ، لا يُقصد بذلك عباد الله إشاعة الفواحش كما يقصد بذلك أصحاب مجلة الحوادث أو الفواحش ، أو الذين يشيعون الفواحش على صفحات الجرائد ، فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا من أجل أن يتجرأ الناس على معصية الله عز وجل ، ويستهينون بمعصية الله عز وجل ، ولكنّ القصص القرآني قصص حق في تاريخ البشرية .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾

[المائدة:٢٧]

أي أن هذا حق ليس كما هو في القصص الدنيوي من نسج الأفكار ، ومن خيال الكتاب ،

ولكنه قصص واقعي في تاريخ البشرية يغرس الله عز وجل به المعاني الإيمانية ، فكأنه يقصد كيف يفعل المؤمن إذا قصد بشر ، وإذا قصد بالقتل ، ما يكون جوابه ؟ وكيف ينصح أولاً من يريد أن يعتدي عليه ، وكيف يقول له :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨] .

المؤمن في قلبه من الخوف عباد الله ما يدفعه عن معصية الله عز وجل ، وما يدفع به إلى طاعة الله عز وجل ، ثم قال له :

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة:٢٩].

أي : أريد أن تتحمل أنت وزر أعمالك وسيئاتك التي من أجلها لم يتقبل الله عز وجل قربانك ، وتبوء أيضًا بإثمي ، وكأنه يقول له : ليس لك حسنات حتى آخذها منك إذا كان يوم القيامة ، ولكنك سوف تأخذ أيضًا سيئاتي ، تبوء بإثم قتلي أو تبوء بذنوبي ؛ لأنه إذا كانت هناك مظلمة فإن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم ، فإن لم تبق له حسنات طرح عليه من سيئاته كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« **أتدرون من المفلس ؟** » .

قالوا : المفلس فينا ما لا درهم له ولا متاع.

قال : « **ولكن المفلس من أمتي من يأتي بحسنات كأمثال الجبال ، ويأتي وقد قذف هذا وشتم هذا**

وسفك دم هذا وأخذ مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا فنيت حسناته طرحوا عليه من سيئاتهم ثم طرح في النار » .

فكأنه يقول له ويعظه : إنك سوف تتحمل أوزارك وأوزاري يوم القيامة ، فكيف تتجرأ على هذا العمل :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠] .

طوعت له أي سهّلت له ، فالعبد إذا وسوس الشيطان له بمعصية يكون هناك معركة في داخله نوازع الخير ونوازع الشر ، نوازع الخير تقول له : لا تفعل ، تذكر الآخرة ، تذكر عقاب الله عز وجل ، تذكر الفضيحة على رؤوس الأشهاد ،

تذكر الفضيحة في الدنيا .

نوازع الشر عباد الله تدفع به إلى المعصية ، والشيطان يخفي عنه عواقب المعصية ، فينسيه أن بعد المعصية خسران وبعدها ضنك وشقاء ، وبعدها عذاب أليم في الآخرة .

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوءٍ من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار

وقال بعضهم :

وكم من معاصٍ نال منهن لذة
ومات فخلاها وذاق الدواهيا

تصرم لــذات المعــاصي وتــنقضي

وتبقـى تبعـات المعـاصي كـما هـي

فيــا ســـوءتا والله راءٍ وســـامع

لعبــد بعــين الله يغشــى المعاصــيا

فالشيطان يخفى العواقـب ، لا يتـذكر الإنسـان عند المعصية عذاب النار ، ولا يتذكر الوقوف بين يدي العزيز الجبار ؛ لذلك يقول النبي - صلى الله عليه وسلم :

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .

أي : أنـه في وقـت المعصـية يضـعف في قلبـه الإيمان جدًا ، وقيل : يخرج بالكلية ويكـون فـوق

رأسه ، فإن تاب عاد إليه مرة ثانية ، وإن أصَرَّ لم يعد إليه مرة ثانية ، فالشيطان يجعل العبد بإخفاء العواقب وتزيين الشهوات ، كالعصفور الذي يرى الحبة في الفخ ولا يرى الفخ ، فإذا أراد الحبة يكون ذلك هلاكه وعطبه ، وبعد المعصية تبدأ الحسرات ، ويبدأ الندم ، ويتقطع قلب العبد بعد المعصية بالتوبة ، إذا وفق إلى التوبة ، أو يتقطع عندما تحق الحقائق يوم القيامة ، ويرى ثواب الطائعين وعقاب العاصين ، فطوعت له نفسه قتلَ أخيه فقتله ، ما قال : فطوعت له نفسه فقتله بل كرر ذكر أخيه ؛ لأن قتل الرجل كبيرة من الكبائر ، فكيف إذا قتل أخاه الذي يجب عليه أن يصله .

« انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » .

كيف يقتل من ينصره وكيف يقتل من هو له

عضد في الدنيا ، ومن يقويه في الدنيا فأصبح من الخاسرين ، أي خسر كل شيء خسر أخاه وخسر دينه ؛ لأنه تجرأ على هذه الكبيرة ، وما نال شيئًا وإنما دفعه الحسد إلى هذه الكبيرة ، فطوعت له نفسه أي سهلت له نفسه ، وزينت له نفسه قتل أخيه ، ونسى كل العواقب الوخيمة ، ونسي عذاب الله عز وجل ، ونسي انتقام الله عز وجل ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .

وهكذا العبد عباد الله بعد المعصية يحس بالخسارة ، ويحس بالندم ، ويحس كذلك عباد الله بالضنك والشقاء في الدنيا قبل الآخرة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

قوله عز وجل :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا

ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ
ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ
فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم
بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾

[المائدة: ٣٠-٣٢]

عظم الله عز وجل هذه الجريمة ، جريمة القتل وقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أعظم محفل شهدته البشرية ، وأشرف اجتماع حدث على وجه الأرض في حجة الوداع قال :

« إن دمائكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا ».

وقال ﷺ :

« كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا » .

أي : مهما وقع في معاصي دون القتل في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا ، بل سد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذرائع إلى هذه الجريمة التي هي أكبر الجرائم بعد الكفر بالله عز وجل ؛ ولذلك قال الله عز وجل في وصف عباد

الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

[الفرقان:٦٨]

فذكر بعد الشرك قتل النفس ثم ذكر الزنا ؛ ولذلك كانت عقوبة الردة عن دين الإسلام القتل كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« من بدّل دينه فاقتلوه » كذلك : **« من قتل يُقتل قصاصًا أو يرضى أولياء المقتول بالدية »** .

فعظم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الجريمة ، وسد الذرائع إليها ، وقال :

« لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بحديدة لعله لا يدري أن ينزغ الشيطان في يده فيقع في حفرة من النار » .

أي : لا يفعل ذلك وإن كان مازحًا يشير إلى أخيه بحديدة أو بقطعة سلاح أو سكين ، ولو على سبيل الهزل لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار ، وأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يحمل أسهمًا أن يأخذ بنصالها حتى لا تخدش مسلمًا .

كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ينظر إلى الكعبة ويقول : « إن الله حرمك وشرفك وعظمك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » .

فحرمة المؤمن عباد الله أعظم من حرمة الكعبة

التي حرمها الله عز وجل وكرمها وشرفها ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، كيف تسهل لصاحبها الوقوع في هذه الجريمة الشنيعة ، ثم لم يدر كيف يفعل بأخيه ، فأكثر المفسرين أخذوا من الإسرائيليات أن غرابين تقاتلا ، فقتل أحدهما الآخر فدفنه فاهتدى ابن آدم إلى سنة الدفن ، ولكن الله عز وجل ما أخبر أنه بعث غرابين بل بعث غرابًا .

فالراجح أن هذا الغراب كان يحفر في الأرض يبحث عن شيء ، أو يدفن شيئًا ، فاهتدى بذلك هذا الرجل إلى سنة الدفن ، قال الله عز وجل :

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾

[المائدة:٣١]

إشارة إلى كثرة البحث ، فكأنه ظل يحفر حتى حفر حفرة عميقة ؛ لأنه ما قال : بحث في الأرض بصيغة الماضي ، بل قال : يبحث في الأرض ، أي: طال البحث حتى حفر حفرة عميقة ، فاهتدى هذا الرجل إلى سنة الدفن فحفر لأخيه حفرة عميقة فدفنه فيها فأصبح من النادمين .

وهذا كذلك من جزاء المعصية عباد الله ؛ لأنه تعلم من الغراب ، وأن الغراب صار أستاذه ؛ لأنه بالذنب صار ذليلاً ، فكفاه بذلك صغارًا وذلاً أنه يتعلم من الغراب :

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾

[المائدة:٣١]

أي : أحس أن الغراب أشرف منه ، وأنه وارى

سوءة أخيه : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ [المائدة:٣١]

فهذا ما يعقب المعصية عباد الله .

قال عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢] .

قال المفسرون : وإنما عقب الله عز وجل هذه القصة بذكره أن بني إسرائيل كتب الله عز وجل

عليهم أن من قتل نفسًا بغير نفس ـ أي بغير استحقاق القتل أو فساد في الأرض ـ فكأنما قتل الناس جميعًا ، أي : فإنه يحمل يوم القيامة إثم قتل الناس جميعًا ، فكأنما قتل الناس جميعًا :

﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة:٣٢]

تعظيم لجريمة القتل ولكثرة الذنوب التي يتحملها القاتل، وإنما ذكر عز وجل بني إسرائيل ؛ لأنهم الذين يكثر فيهم القتل ، فانظروا كيف يفعلون في إخواننا بفلسطين لا يكاد يمر يوم أو ليلة حتى يقتلوا منهم العشرات ، وأحيانًا المئات ، فهم عباد الله يتشوقون إلى الدماء ويكثرون من الدماء ، وهم الذين اجترؤوا على قتل نبي الله

زكريا ، ونبي الله يحيى ، وأرادوا قتل عيسى عليه السلام ، ولكن رفعه الله عز وجل إليه وما قتلوه يقينًا ، بل أرادوا قتل نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كما سمّت امرأة سلام بن مُشْكِم اليهودية شاة وقالت : أي جزء من الشاة أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا لها : الذراع ، فسمّت شاة واستضافت النبي - صلى الله عليه وسلم - عليها وأهدتها للنبي - صلى الله عليه وسلم .

والله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة:٦٧] .

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : « **إن هذا الذراع يخبرني أنه مسموم** » .

كذلك في قصة إجلاء بني النضير وكيف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم على دية قتيلين للعهد الذي بينهم وبين هذه القبيلة التي منها القتيلين، فقالوا: « نعم يا محمد، نجيبك إلى ما سألتنا »، وخلا بعضهم مع بعض وقالوا: لا تجدون الرجل على هذه الحال، من منكم يصعد على بيت فلان، فيلقي عليه صخرة عظيمة فيريحنا منه، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوحي وحاصرهم حتى أجلاهم عن مدينته.

فكثر عباد الله في بني إسرائيل جريمة القتل:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢] .

كذلك في هذه القصة عباد الله عقوبة الذين يسنون السنن السيئة ، وأهل البدع والذين يشيعون الفواحش ، فيقتدي بهم في ذلك فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

« **لا تُقتل نفسًا ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها** » .

فالذين يسنون السنن السيئة ، والذين يشيعون الفواحش ، والذين يبتدعون في دين الله عز وجل ، فيتبعهم الناس على ذلك ، فإنهم يحملون أوزارهم وأوزار من يضلوهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون ، لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن

آدم الأول كفل من دمها ، فيكـف تكـون ذنـوب هذا الرجل يوم القيامة عباد الله ، ما قُتلت نفـس في الأرض إلا وتحمـل وزرًا في قتلـها ؛ لأنـه أول من سنّ القتل .

وفي ذلك كذلك عباد الله كيـف يـدفع الحسـد أصحابه ، لقد حسد إخوة يوسف يوسف وهموا بقتله ، ولكنهم عدلوا عن ذلك فـألقوه في غيابـة الجب من أجل أن يلتقطه بعض السيارة .

« دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضـاء ، إلا أنها هـي الحالقـة ، لا أقـول تحلـق الشـعر ، ولكـن تحلق الدين ».

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنـا شر ما قضيت .

اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بعز فاجعل عز الإسلام على يديه ، ومن أرادنا والإسلام والمسلمين بكيد فكده يارب العالمين ، ورد كيده في نحره ، واجعل تدبيره في تدميره ، واجعل الدائرة تدور عليه . اللهم عليك باليهود الغاصبين ، والأمريكان الحاقدين ومن والاهم من المنافقين والعلمانيين ، والذين يشيعون الفواحش في بلاد المسلمين . اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . اللهم لا ترفع لهم في الأرض راية ، واجعلهم لسائر خلقك عبرة وآية .

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا ، وامكر لنا ولا تمكر علينا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وانصرنا على من بغي علينا .

اللهم ارفع عن بلاد المسلمين الغلا ، والوبا ،

والربا ، والزنا ، وردهم إليك ردًا جميلاً .

اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهي فيه عن المنكر .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدًا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا .

وصلي الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .